



المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية  
المرصد الاجتماعي التونسي

كراسات  
**المنتدى** عدد 5

# المنظومة التربوية التونسية وإشكالية الجودة.

تنسيق: حسن العنابي



جانفي 2022

\*\*\*

المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي كراسات المنتدى

\*\*\*

حقوق التأليف محفوظة للمنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية  
الطباعة: المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية-جانفي 2022

ISSN : 2724-6833

المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية

المرصد الاجتماعي التونسي



# المنظومة التربوية التونسية وإشكالية الجودة.

تنسيق: حسن العنابي

جانفي 2022

الإدارة والتحرير:

المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية 47 شارع فرحات حشاد، 1001، تونس

المدير المسؤول:

علاء الطالبي

أعضاء لجنة التحرير:

حسن العنابي، حياة عمامو، رياض بن خليفة، سفيان جاب الله، صلاح الدين بن فرج،  
مالك كفيف، ماهر حنين، نزار بن صالح،

طباعة:

الطباعة المتضامنة

# المحتوى

	حسن العنابي	
07	تقديم .....	
	سامي بالحبيب	
26	جودة الحياة المدرسية وتجذير الشعور بالانتماء .....	
	نسرين بن بلقاسم	
53	المدرسة العموميّة وإدماج أبناء المهاجرين العائدين .....	
	عادل بنعثمان	
	مناهج التعليم في تونس: أي خيار لضمّان جودة مخرجات المؤسسة التربويّة؟ .....	
82	عمر بوقرة	
	تمدرس أبناء الأجانب المقيمين بالبلاد التونسية: الوسط المدرسيّ ضامن للتكيّف المجتمعي .....	
105	هاجر بن حمزة	
	الزمن المدرسي، الزمن الأسري والزمن الاجتماعي .....	
120	محرز الدريسي	
	الجودة التربوية مدخل التوقّي من العنف المدرسي .....	
137	حياة عمّامو	
	التشدد الفكري لدى الناشئة في المؤسسات التربويّة وخطره على تدهور جودة التعليم .....	
169	<b>Alma Hafsi</b>	
	Perceptions croisées sur le décrochage scolaire en Tunisie .....	194
	<b>Sana Cherni</b>	
	Le préscolaire en Tunisie : Lorsque l'enfant est encombré par le désir de l'autre .....	217

# المدرسة العموميّة وإدماج أبناء المهاجرين العائدين

نسرين بن بلقاسم<sup>1</sup>

## 1. تقديم عام

تولي المجتمعات الحديثة للتعليم مكانة خاصة إذ به يتم نقل المعارف والمعلومات والمهارات والخبرات من جيل إلى آخر بالوسائل والطرق المختلفة التي يتفق عليها المربون لذلك أسندت له وظائف عدة لعل أهمها وظيفة إعادة الإنتاج la reproduction والإدماج التي تشمل جل الفئات الاجتماعية، تحديدا تلك التي هي مقبلة على المدرسة.

لذلك، أدركت تونس منذ الاستقلال أنّ بناء مستقبلها يمر حتما بالمدرسة وبتكوين شبابها تكوينا حديثا يستجيب لمقتضيات العصر. فجاءت الإصلاحات التربوية المتتالية منذ سنة 1958 تمكن من إرساء قواعد النظام التربوي التونسي الذي عمل على تحقيق مبدأ ديمقراطية التعليم بفتح أبواب المدرسة التونسية أمام جميع الأطفال دون تمييز، إذ ينص الفصل الرابع على ضمان الدولة حقّ التعليم مجانا بالمؤسسات التربوية العموميّة لكّل من هم في سن الدراسة، كما توفر لجميع التلاميذ فرصا متكافئة للتمتع بهذا الحق.

ومع نبيل هذا الطموح وسمو الهدف علينا أن نعتزف أن ما تحقق خلال العقود الفارطة، على أهميته، لم يخل من نقائص. فقد شهدت المدرسة التونسية جملة من

<sup>1</sup> باحثة (متحصلة على الإجازة في علم الاجتماع، اختصاص ديمغرافيا، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس).

الظواهر والاختلالات هزّت تلك الصّورة المشرقة للمدرسة لدى فئة واسعة من التونسيين مما دفع البعض منهم إلى البحث عن بدائل خارجها. وتدل نسبة الإقبال المكثف على التعليم الخاص في السنوات الأخيرة على تراجع مكانة المدرسة العمومية في سلم قيمهم التربوية. ومع هذا كله فإن المجموعة الوطنيّة تجد نفسها اليوم، أكثر من أي وقت مضى، مدعوّة إلى دعمها ومزيد تعزيزها<sup>2</sup>. ولإصلاح المنظومة التّعليمية أطلقت وزارة التربية حوارا وطنيا جامعا تطرق إلى العديد من القضايا في جميع المجالات غير أن منزلة أبناء المهاجرين العائدين إلى أرض الوطن المرسمين بالمدارس العموميّة والصعوبات التي تعترضهم ظلت غائبة في جدول تلك الحوارات.

سنحاول من خلال هذه الورقة أن نقف بالتحليل على أهم الصّعوبات التي يواجهها أبناء المهاجرين العائدين إلى أرض الوطن في المدارس التونسية العمومية، وتقييم المساعي التي يبذلها المربون والعائلات ومختلف المتدخلين التربويين وغيرهم من أجل مساعدة هذه الفئة على الاندماج. ولتجنب الانطباعات العرضية والتقييمات الذاتية استندنا في هذا البحث إلى الوثائق الرسمية والبحوث المتاحة، كما قمنا بعمل ميداني، محاولة منا لملامسة الواقع بأكثر دقة.

## 1. الإشكالية

لئن كان الاستقرار النفسي والاجتماعي عاملين أساسيين في نجاح العملية التربوية، فقد ظلّا من التحديات التي يتعيّن رفعها بالنسبة لأبناء المهاجرين العائدين إلى أرض الوطن. ذلك أن حسن التكيف مع معطيات أخرى مختلفة عن تلك التي تعود عليها أفراد العائلة خلال المدة التي قضوها بالخارج ليس دوماً أمراً هيناً. فقد يكون للعودة آثار وخيمة على المسار التعليمي للطفل، خصوصاً إذا لم تتوفر الإحاطة العائلية والاجتماعية والمدرسية الكافية، مما قد يؤدي إلى اضطراب في توازنه النفسي وضعف في تحصيله المعرفي.

<sup>2</sup> وزارة التربية، الكتاب الأبيض: مشروع إصلاح المنظومة التربوية في تونس، ماي 2016.

عادة ما يلاقي أبناء المهاجرين العائدين صعوبات عديدة في الاندماج المدرسي والتربوي، ويكون ذلك ناجما عادة عن اختلاف الأنظمة التعليمية. وقد تستفحل الأمور وتصبح المسألة عويصة الحل إذا ما عجزت العائلة ولم يفلح المربون في إيجاد الحلول الناجعة، وهو ما ينعكس سلبا على تحصيل الأطفال العلمي وتفاعلهم مع مكونات محيطهم الاجتماعي: الأسرة، الأتراب، المربين، الخ.

إنّ المدرسة التي تحترم خصوصيات كل فرد واحتياجاته هي تلك التي تحقّق المساواة والعدل بينهم وتكون قادرة لا فقط على احتضان كافة الفئات الاجتماعية في ظروف مناسبة للتعلّم ومريحة لكسبه، بل وكذلك على مساعدتهم في عمليّة الاندماج داخل المدرسة وبين التلاميذ والمعلمين بما يكفل استقرارهم النفسي وتدرّجهم العادي في سلم المعرفة<sup>3</sup>.

فماهي الخصائص "السوسيو-تربوية" لهؤلاء التلاميذ العائدين؟ وماهي الصعوبات التي يواجهونها في المحيط المدرسي الجديد؟ وهل توفر لهم المدرسة العمومية إحاطة خاصة بهم تساهم في حسن إدماجهم؟ وهل يتلقون تعلمات وكفايات للتدارك والاندماج؟ وماهي درجة الرضا لدى الأولياء في ما يتعلق بالطرق البيداغوجية المعتمدة؟ وفي ما يكمن الاختلاف بين المناهج التربوية التونسية و تلك التي تعود عليها هؤلاء التلاميذ في بلاد المهجر؟

## 2. المنهجية المعتمدة

لمعالجة هذه الإشكالية اعتمدنا أولا مقارنة كمية من خلال جمع المعطيات الإحصائية المتوفرة لدى وزارة التربية حول الموضوع، كما استندنا إلى المنهج الكيفي وذلك من خلال إجراء جملة من المقابلات الموجهة مع المهاجرين العائدين أولا ومع الإطار التربوي ثانيا، علما وأن الغاية منها كانت مزدوجة، نعني بذلك التأكد من صحة المعلومات أولا، والاطلاع على وجهات نظر مختلفة ثانيا.

<sup>3</sup> وزارة التربية، نفس المصدر.

تتمثل العينة الأولى في ثلاثة عشر (13) مهاجرا سجلوا أبناءهم عند عودتهم إلى البلاد التونسية في مدارس أو معاهد عمومية وهم ينتمون إلى جهات مختلفة. لقد اعتمدنا طريقة "كرات الثلج"<sup>4</sup>، ونعني بذلك أننا قمنا بالاستجابات عن طريق الهاتف وتمكنا من الحصول على الإجابات المطلوبة دون عناء، علما وأن الوضع الصحي، بحكم انتشار فيروس كورونا وإجراءات الحجر الصحي، لم يسمح بالالتقاء بالمستجوبين.

يحتوي دليل المقابلة على أربعة محاور. نجد في المحور الأول معلومات عامة حول العائلة، ويتعلق الجزء الثاني بمسار الهجرة، ويوفر الجزء الثالث معطيات حول التعليم في تونس، أما الجزء الرابع فيهتم بقضايا المدرسة والإدماج وجائحة الكوفيد.

تتعلق العينة الثانية بالإطار التربوي، (مربون ومديرو مدارس في القطاع العمومي)، ويمثل عدد المستجوبين أحد عشر شخصا، ولقد اعتمدنا كذلك طريقة "كرات الثلج"، علما وأننا تمكنا من التنقل إلى المدارس والمعاهد العمومية حتى نمرر دليل المقابلة على الإطار التربوي الذي يحتوي على ثلاثة أجزاء، تعلقت تباعا بمعلومات عامة ومعطيات حول التربية والتعليم بالمدرسة العمومية التونسية والصعوبات التي تحيط به وأخيرا العلاقة بين الولي والإطار التربوي.

3. عدد أبناء المهاجرين العائدين في مختلف الولايات حسب الإحصائيات الرسمية

تشكو الإحصائيات الرسمية المتعلقة بهذا الموضوع من قلة الدقة، إذ أنها لا تحتوي إلا على العدد الجملي للتلاميذ سواء كانوا تونسيين عائدين أو أجانب مستقرين بالبلاد التونسية (وهو الحال بالنسبة إلى إحصائيات (2020/2019)).

<sup>4</sup> Hélène Simon-Lorière, 2012, « Enquêter auprès des réfugiés libériens dispersés à Conakry : approche par les réseaux sociaux », *Immigrés, illégaux, réfugiés. Questions sur les enquêtes et les catégories*, p.47-63.

وهي طريقة تجريبية مهمة في الدراسات التي يكون فيها عدد المبحوثين صغيرا، إضافة إلى تميزهم بخصائص محددة ومحدودة، فيصعب تحديد الأشخاص الذين ستنمّ مقابلتهم. زد على ذلك أنه لا توجد مجموعة شاملة قائمة متكوّنة من هؤلاء السكان، فهذه الطريقة تستند إلى مجموعة صغيرة من الأفراد لديهم خصائص مشتركة، ثم يطلب من هؤلاء المبحوثين مساعدتنا في إيجاد أشخاص آخرين من محيطهم لهم نفس الخصائص، وبالتالي يكون من السهل بعد ذلك مضاعفة عدد المبحوثين

تبين إحصائيات السنة الدراسية 2020/2019 أن عدد التلاميذ الأجانب المرسمين بالمدارس العمومية الابتدائية التونسية كان ضعيفا (1096) مقارنة بعدد تلاميذ أبناء التونسيين العائدين من الخارج (12899). وتسحب نفس الملاحظة على المرحلتين الإعدادية والثانوية (856 تلميذ مقابل 9043 تلميذ). لا تقدم لنا الإحصائيات تفاصيل نعتقد أنها مهمة على غرار توزيعهم حسب الجنس (ذكور، إناث) ولا أيضا ولايات الاستقرار أو المستوى الاجتماعي المنبني للعائلات، الفصول التي انتموا إليها، الخ.

فسيكون من المهم حتى فهم مختلف المراحل التي سيمر بها التلميذ العائد إلى المدرسة العمومية بعد فترة استقرار ببلد أجنبي، فهم أسباب العودة وملابساتها وهي التي فقد تحدد مآلات تجربة الاندماج لاحقا.

## II. أسباب العودة

يقبل التونسيون على الهجرة لأسباب عديدة، يمكن إيجازها باختصار في البحث عن فرص عمل أفضل من حيث ارتفاع الأجر أو ظروف العمل. وقد تكون الهجرة نتيجة قرار طوعي أو استجابة لقرارات إدارية، كما هو الحال في بعض الأسلاك الدبلوماسية أو غيرها من الوظائف.

لا يخلو الالتحاق بالعمل في بلدان المهجر من بعض الصعوبات التي ينعتها البعض من المختصين بـ "اختبار التكيف"، وذلك مهما كانت قدرات الشخص على تحمل الصعاب، ومهما تعددت تجاربه السابقة ومهما كانت مؤهلاته المهنية وخصاله النفسية.

تدل إفادات بعض ممن استجوبنا أن فئة من المهاجرين لم تنجح في الاندماج بسبب اختلاف العادات والتقاليد، وما ترسب عنها من قيم و معايير و تمثلات علاوة على عدم إتقان اللغة، يقول المستجوب م. ع<sup>5</sup>: "واجهت صعوبات في الاندماج لأنني لم أتمكن من إتقان اللغة الإنجليزية، لذلك تعثرت حتى في تصرفاتي اليومية. لا أستطيع التنقل أو شراء

<sup>5</sup> م.ع. ولي عائد من لأبو ظبي هاجر سنة 2007 والآن قاطن بسيدي بوزيد وله ثلاثة أطفال.

المستلزمات والتعامل مع الناس بسبب اللغة". ومن ناحيته، أكد لنا المستجوب س. ر<sup>6</sup> نفس الفكرة عندما قال: "رغم أنني أعتبر الهجرة حلا وقتيا فلقد واجهت صعوبات تضاعفت بلاشك حين أخفقت في إتقان اللغة فلم أستطع الاندماج خصوصا وان اختلاف العادات والتقاليد قد عمق أيضا مشاكلي".

وبعيدا عن هذه الفوارق اللغوية والثقافية التي عادة ما يستحضرها الأولياء أورد بعض المستجوبين تعرضهم إلى صعوبات متعلقة بالتمييز العنصري في بلد المهجر. وقد صرح بذلك المستجوب د. ك<sup>7</sup> قائلا: "إيطاليا يوجد فيها الكثير من العنصرية يحتقرون المهاجرين من المغرب العربي. هناك فرق في التعامل في الحقوق والواجبات وهناك تمييز، نحن نعتبر مواطنين درجة ثانية". وأكد لنا المستجوب ف. ه<sup>8</sup> نفس الفكرة: "واجهت صعوبات في التأقلم بسبب العنصرية". شمل هذا السلوك العنصري، حسب بعض الشهادات، أبناء المهاجرين داخل المؤسسات المدرسية. هذا ما صرح به المستجوب م. ع. المشار إليه أنفا<sup>9</sup> "يتعرض أبناءنا إلى التمييز العنصري في المدارس في أبوظبي عند القيام بالأنشطة والتسجيل في المسابقات حيث تكون دائما الأولوية لأطفالهم والتلميذ التونسي يعتبر وادفا وليس له الحق في المشاركة في الأنشطة". كما أكد لنا البعض الآخر أن ارتداء الحجاب يمكن أن يكون سببا في ارتباك التلميذة و نفورها من المدرسة. يقول المستجوب ر. م<sup>10</sup> "القوانين في فرنسا لا تسمح لأطفالي بارتداء الحجاب في المدرسة وذلك ما شكل عبئا لو تواصل لتعطلت دراستهم، لذلك وجدنا صعوبات جمة حقيقة".

على خلاف ذلك، ينفي المستجوبون تعرضهم إلى صعوبات هناك ويصفون وضعهم الاجتماعي في بلاد المهجر بال جيد، بل هو، في نظرهم، أفضل من وضعهم بتونس، غير أنهم، رغم الاستقرار والرفاهية، اضطروا إلى العودة إلى أرض الوطن وذلك لعدة أسباب، من بينها:

<sup>6</sup> س.ر. ولي عائد من السعودية، هاجر سنة 1989 والآن مقيم في قفصة، وهو أب لثلاثة أطفال.

<sup>7</sup> د.ك. ولي عائد من إيطاليا هاجر سنة 2004 والآن قاطن بالمهدية وله طفلان.

<sup>8</sup> ف.ه. ولي عهد من كندا، هاجر سنة 2010 و الآن هو مقيم في ولاية أريانة وله ثلاثة أطفال.

<sup>9</sup> نفس الولي.

<sup>10</sup> ر.م. ولي عائد من فرنسا، هاجر سنة 2005 والآن قاطن في سيدي ثابت في ولاية أريانة وله ثلاثة أبناء.

1. دراسة الأبناء

أكد لنا جميع المبحوثين من خلال المقابلات التي أجريناها، أنّ أحد الأسباب الرئيسيّة التي تقف وراء عودتهم إلى تونس هو دراسة أبنائهم. إذ منهم من يعيب على المنظومة التربوية في تلك البلدان إضافة إلى عدم تدريس اللّغة الفرنسيّة أو العربيّة في المدارس، تدني التّحصيل المعرفي وعدم الرضا على المستوى التعليمي.

2. صعوبات الاندماج الاجتماعي في بلد المهجر

يعود قرار العودة إلى تونس إلى غياب التضامن وضعف العلاقات الاجتماعيّة في بلد المهجر، فقد أكد لنا المبحوث ر. م، (وهو وليّ عائد من فرنسا) بقوله: " في فرنسا العلاقات الاجتماعيّة جافة ومنكمشة فالتعاون بين المواطنين والأطفال شبه غائب والناس هناك منطوون. لا يمكن لأطفالي مثلاً أن يلعبوا مع أترابهم أو أن يقيموا علاقات مع أطفال آخرين لذلك فإن الإحساس بالغربة يتضاعف". كذلك يجيب المبحوث ر. م. " أحب بلادي هناك غياب تام للتضامن والعلاقات الاجتماعيّة منعدمة في فرنسا أطفالي لا يمكنهم تكوين علاقات ولا يمكنهم اللعب بسبب لبسهم للحجاب".

نقلة الزوج الاضطرارية من مكان العمل

هناك من المستجوبين من لم يكن راغباً في العودة إلى تونس، ولكنّه اضطر إلى ذلك بسبب نقلة الزوج إلى مكان عمل آخر، كما جاء على لسان المستجوبة ب. ج<sup>11</sup> متحدثة عن زوجها: "انتقل زوجي للعمل في فرنسا ولم أستطع البقاء وحدي لذلك كنت مضطرة للعودة إلى تونس قرب العائلة الموسعة لأنني لم أتمكن من التنقل معه إلى فرنسا". وقد تكون الأحداث السياسيّة التي مرت بها بعض البلدان خلال السنوات الأخيرة سبباً في العودة الاضطرارية وهذا ما أكدّه لنا ذلك المستجوب و. ح<sup>12</sup>: " بسبب الثورة في ليبيا خسر زوجي عمله والمدرسة أغلقت ولهذا السبب عدنا إلى تونس".

<sup>11</sup> ب. ج. ولي عائد من إيطاليا، هاجر سنة 2006 والآن في الزهروني من ولاية تونس وهو أب لطفلين.

<sup>12</sup> و. ح. ولي عهد من ليبيا بسبب الوضع السياسي، هاجر سنة 2005 والآن مقيم في الكرم من ولاية تونس وله أربعة أطفال.

### III. الخصائص "السيكولوجية": ملامح التلاميذ العائدين

#### 1. المستوى التعليمي للتلاميذ في بلد المهجر

أقرّ أغلب المستجوبين أنّ المستوى التعليمي لأبنائهم في بلد المهجر كان ممتازاً، وأنّ أبناءهم كانوا يتحصلون على المراتب الأولى، علماً وأن عدداً منهم كان مرسماً هناك بالمدارس العمومية. ذلك ما أكدّه لنا المستجوب م. ع. الذي سبق ذكره: "في بلد الهجرة كان أبنائي يدرسون في مدرسة عمومية، كانت جيدة وكان الإطار التربوي مختصاً وكان وقتهم كاف ليمارسوا أنشطة، وأهم شيء أن هناك لا يوجد ضغط على التلميذ لذلك كان أبنائي ممتازين". من جهة أخرى، أكد لنا المستجوب س. ر<sup>13</sup>: "كان أبنائي يدرسون في مدرسة عمومية وكان تعليمهم جيّد في السّعودية، صحيح أنّ كلّ المواد باللغة العربية ولكن البرامج عالمية وجيدة وأكبر دليل على هذا عندما عادوا إلى تونس لم يتعرضوا إلى أي صعوبات ماعدا في اللغة الفرنسية".

يعود المستوى التعليمي "الجيد" لأبناء المهاجرين العائدين في بلد المهجر، حسب الأولياء، إلى عدة أسباب، أهمها توفير الوسائل التعليمية الجيدة للقيام بالتجارب التطبيقية وفهم الدرس بطريقة ملموسة وعدم الاكتفاء بالمقاربات النظرية فقط فضلاً عن الأساليب البيداغوجية المتبعة هناك وهي مغايرة لما هو متبع في تونس، إذ توفّر المدرسة، إلى جانب التّعليم، الأنشطة الترفيحية والثقافية ولا يخفى ما لهذه الأنشطة من أثر جيد على عملية اندماج الطفل في المدرسة، فقد جاء على لسان المستجوب ف. ه<sup>14</sup>: "في كندا كان أطفالي يدرسون في مدرسة خاصة، كان التعليم جيداً ويعتمد وسائل تعليمية جيدة، وكان عدد التلاميذ في القسم قليلاً مقارنة بتونس إضافة إلى غياب الدروس الخصوصية، فالتلميذ يعتمد على نفسه وعلى ما يدرسه في القسم لأنه يتحصل على جميع المعلومات داخل القسم ولا يستحق لدروس التدارك خارج القسم".

إضافة إلى كل هذه المزايا، يثمن المستجوبون التواصل المستمر بين الولي والإطار التربوي بشكل جيد ومنهجي، إذ يحظى الطفل في مدارس بلد المهجر، سواء كانت مدارس عمومية أو خاصة، بإحاطة تربوية ونفسية واجتماعية وترفيهية جيدة. حول هذا

<sup>13</sup> س.ر. ولي عائد من السعودية، هاجر سنة 1989 والآن هو مقيم في قفصة.

<sup>14</sup> ف.ه. ولي عائد من كندا، هاجر سنة 2010 والآن هو مقيم في أريانة وهواب لثلاثة أطفال.

الموضوع يقول المستجوب ن. ل<sup>15</sup>: " كان أطفالا مرسمين في بلد المهجر في مدرسة خاصة. كان مستواهم ممتازا وكان مستوى المدرسين جيدا جدا وخاصة الأسلوب كان مغايرا تماما لتونس، فكلّ يوم كانت هناك حفلات ترفيهية وأنشطة ثقافية". أكد لنا كذلك بعض المستجوبين أن هناك تواصل مستمرا بين الولي والإطار التربوي لمساعدة التلميذ في التدارك وهذا ما جاء على لسان المستجوب ر. ع<sup>16</sup>: "كان أطفالا يدرسون في السعودية في مدرسة خاصة، الإطار التربوي كان جيدا وكنت أتواصل معهم يوميا عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي، وعندما يواجه التلميذ صعوبات في فهم الدرس في القسم أقوم باعتراض، فيكزّله المرابي الدّرس مرة أخرى لكي يفهمه، فالتلميذ لا يواجه أية صعوبات بسبب العناية الخاصة التي يتمتع بها في المدرسة".

إنّ أغلب المهاجرين العائدين الذين تم استجوابهم، أقرّوا، اعتمادا على تجاربهم الخاصة، بأن المستوى التعليمي في بلد المهجر كان جيدا وأنّ العناية بالأبناء كانت ممتازة، ولكن هناك من كان له رأي مغاير تماما مثلما أكد لنا المستجوب ل. س<sup>17</sup> "المستوى التعليمي في المدرسة كان ضعيفا وكان أبنائي مرسّمين في عمان في مدرسة عمومية ومستوى الدراسة كان ضعيفا بالمقارنة مع البرامج التعليمية في تونس"، وواجه المستجوب ر. م<sup>18</sup> نفس المشكل: "صحيح أن تحصيل أبنائي الدراسي كان جيدا ونتائجهم جيدة ولكن في فرنسا التعليم سطحي وليس معمق، التعليم حكاية فارغة في فرنسا"

من خلال ما سبق يبدو أن تقييم الأولياء لمنظومات التعليم يختلف من مستجوب إلى آخر. فيقدر ما يثمن فريق منهم المناهج التربوية المتبعة في بلاد المهجر، بقدر ما يستهجن فريق آخر قيمته استنادا أحيانا إلى اعتبارات تربوية محضّة تعود إلى نظام التعليم والمناهج المعتمدة في تلك البلاد أو اجتماعية تخرج عن المدرسة لتشمل صعوبات الاندماج وغيرها في أحوال أخرى. غير أن النقطة المشتركة بين جميع

<sup>15</sup> ن. ل ولي عائد من السعودية هاجر سنة 2008 والآن مقيم في حي الزهور من ولاية تونس وله ثلاثة أطفال.

<sup>16</sup> ر. ع ولي عائد من السعودية هاجر سنة 2001 ومقيم حاليا في ولاية تونس وله طفلان.

<sup>17</sup> ل. س. ولي عائد من سلطنة عمان هاجر سنة 2005 والآن مقيم في قسور الساف من ولاية المهديّة وهو أب لثلاثة أطفال.

<sup>18</sup> ر. م. هو ولي عائد من فرنسا وهو مقيم في سيدي ثابت من ولاية أريانة

المستجوبين هي أن نتائج أبنائهم في بلد المهجر تعد جيدة مقارنة مع المدرسة العمومية رغم تلك النقائص التي أشرنا إليها.

## 2. ممارسة الأنشطة الثقافية في المدرسة

ركزت المدرسة التونسية اهتماماتها على التحصيل العلمي باعتباره المهمة الأساسية للمدرسة، ولكنها أغفلت أهمية الأنشطة الثقافية والترفيهية في التنشئة المدرسية والاجتماعية عموماً إذ لا أحد ينكر ما لأهمية هذه العوامل في التكوين النفسي. فمن خلال انخراطه في أنشطة جماعية يتعلم التلميذ قواعد العيش المشترك مع المجموعات وتخلق بينهم عادات المشاركة والمساعدة والتعاون، حيث تساعده هذه الأنشطة على التأقلم والاندماج وصياغة شبكات علاقات مهمة يمكن أن تكون رأسمال اجتماعي مهم.

فالتوازن بين التعلّم وممارسة الأنشطة أمر مهمّ في تكوين طفل متوازن، ولكن المدرسة التونسية لا تعطي أهمية للترفيه إذ تنحصر وظيفتها واهتماماتها في التعليم. فلقد أكد لنا جميع المبحوثين أنّ المدرسة التونسية لا توقّر أنشطة ثقافية وترفيهية وهي بذلك تكون على نقيض المدارس في بلد المهجر. هناك تعتمد جميع المدارس، سواء كانت عمومية أو خاصة، في نظام تعليمها على الأنشطة الثقافية والترفيهية من خلال القيام بحفلات ثقافية والتعريف بعادات مختلف الدول وتقاليدها. ويساعد ذلك، دون شك، الطفل على الاندماج في المحيط المدرسي والقيام بعلاقات صداقة، كما قال المبحوث ر. ع<sup>19</sup>: "توفر المدرسة في بلد المهجر أنشطة ثقافية وترفيهية من خلال القيام باحتفالات تقليدية حسب الجنسيات للانفتاح على الثقافات الأخرى. إضافة إلى الاحتفالات، توجد العديد من الأنشطة مثل السباحة والموسيقى والرياضة والمسرح وخاصة القيام بالرحلات الميدانية والتجارب التطبيقية لفهم الدرس". وأكد لنا المستجوب د. ك.<sup>20</sup>: "تعتمد المدرسة على الرحلات الميدانية لفهم الدرس فهم لا يقتصرون على النظري فقط، بل يهتمون بالعمل الميداني الذي يكون بشكل ترفيهي".

<sup>19</sup> ر.ع. ولي عائد من السعودية والأن مقيم في ولاية تونس وله طفلان.

<sup>20</sup> د.ك ولي عائد من إيطاليا هاجر سنة 2004 والأن مقيم في ولاية المهديّة وله طفلان.

تكمن هنا أهمية هذه الأنشطة في بناء شخصية التلميذ ومساعدته في مرحلة أولى على فهم الدرس وفي مرحلة ثانية على الاندماج، فضلا عن كونها تساهم في غرس حب التعاون لديه والمشاركة مع الآخر. فمشاركة التلميذ في أنشطة يحبها تكسبه ثقة كبيرة في نفسه، ولها أثر كبير في تكوين شخصيته وتوطيد العلاقة بينه وبين أصدقائه من جهة، وبينه وبين الإطار التربوي ككل من جهة ثانية. فالترفيه ضروري لما يوفره للأطفال من تخفيف لتعب الدراسة ومحبة للمدرسة وتجنّب إحساسهم بالملل في القسم، فهو يمكنّ الطفل من إفراغ طاقته وبالتالي يميل أكثر للهدوء في القسم ويهتم بدراسته بعد أن يشبع رغبته في اللعب. إنّ الطفل بحاجة دائمة إلى اللّعب والترّفيه، وهذا ما غفلت عنه المدرسة التونسية.

نستنتج إذا أن النظام التعليمي في مدارس بلدان المهجر، حسب ما ورد على لسان الأولياء، يعتمد على الأنشطة الترفيهية الدامجة للتلميذ. وقد يكون غيابها في المدرسة العمومية التونسية سببا في تنامي ظواهر العنف وجملة السلوكات الأخرى بالمؤسسات التربوية (الغش، الغيابات...)، وبروز ظواهر جديدة غير مألوفة على غرار تعاطي المخدرات في الوسط المدرسي<sup>21</sup>. ويضاعف الزمن المدرسي المتسم بالتشتت وكذلك "ساعات الفراغ" وغياب الأنشطة الثقافية التي أشرنا إليها، فضلا عن تقادم الأساليب البيداغوجية في التدريس، من هذه المخاطر، مما يجعل المدرسة في عيون التلاميذ العائدين مرهقة ومنفرة.

### 3. صعوبات التعلم في المدرسة التونسية

يجد أبناء المهاجرين العائدين صعوبات في التعلّم في المدارس التونسية لاختلاف الأنظمة التعليمية بينها وبين مدارس بلد المهجر، وتكمن درجة الاختلاف من دولة إلى أخرى في طرق التعليم حيث يواجه التلاميذ الذين كانوا يدرسون في دول الخليج مثلا ثلاث صعوبات كبرى تكمن أولا في اللّغة الفرنسية، لأن دول الخليج لا تعتمد في مناهجها وهنا يجد المتعلّمون في مرحلة أولى صعوبات بسبب هذا التغيير، كما أكد لنا ذلك

<sup>21</sup>وزارة التربية، مشروع إصلاح المنظومة التربوية في تونس، 2016.

المستجوب ل. س<sup>22</sup> "واجه ابني صعوبات كبيرة في استيعاب مادة الفرنسية إلى حد هذه اللحظة، ابني ممتاز في كل المواد ما عدا الفرنسية". كذلك يقول المستجوب م. ع<sup>23</sup>: "تعرض أطفالي إلى صعوبات في الفرنسية، لم يستطيعوا فهمها لأنهم كانوا يدرسون بطريقة أخرى مختلفة تماما عن تونس". غير بعيد عن هذا المعنى يعبر الولي أ. ح<sup>24</sup> نفس المشكل تقريبا إذ واجهه نفس العضلة: "واجه ابني صعوبات في الالتحاق بمستوى أقرانه في اللغة الفرنسية وفهم محتوى الدرس و الاختبارات لاحقا".

ولا تشكل اللغة وحدها صعوبة بالنسبة للتلاميذ الملتحقين بالمدرسة بعد العودة من دول الخليج، فقد واجه البعض منهم أيضا صعوبات في مادة الرياضيات لأنهم كانوا يعتمدون هناك الأرقام الهندية والحال أن المدارس التونسية تعتمد الأرقام العربية. فلقد جاء في قول المستجوب م. ر<sup>25</sup> "واجه ابني صعوبات لغوية في اللغة الفرنسية وكذلك صعوبات في الحساب وخاصة في الأرقام".

علاوة على ذلك، واجه هؤلاء الأطفال صعوبات في فهم اللهجة التونسية وهذا ما سبب لهم العديد من الصعوبات تعلقت بفهم الدرس خصوصا وأن البعض يعتمد، من حين إلى آخر، اللهجة التونسية في شرح الدرس، وذلك في مخالفة صريحة للتراتب المعمول بها. وهو ما جاء على لسان المستجوب س. أ.<sup>26</sup> "...لقد واجه أبنائي بعد عودتهم صعوبات في التحدث باللهجة المحلية أو فهمها خصوصا عند بداية عودتهم وذلك ما انعكس على فهم الدرس".

أما بالنسبة إلى الأطفال الذين كانوا يدرسون في الدول الأوروبية فقد واجهوا في المدارس التونسية صعوبات تعلم تعلقت باللغة العربية لأنهم لم يتلقوا دروسا مبرمجة في المدرسة أو من خلال دروس الدعم التي تنظمها سفاراتنا هناك بالتعاون مع بعض الجمعيات. المواد في المدارس التونسية وحتى الحوار في القسم والمعاملة من طرف الإطار

<sup>22</sup>كما ذكرنا هو ولي عائد من سلطنة عمان.

<sup>23</sup>كما ذكرنا سابقا ولي عائد من أبو ظبي.

<sup>24</sup>أ.ح. ولي عائد من جدة هاجر سنة 2010 والآن قاطن في قليببة في ولاية نابل وهو أب لطفلين.

<sup>25</sup>كما ذكرنا سابقا هو ولي عائد من سلطنة عمان.

<sup>26</sup>س.أ. ولي عائد من سلطنة عمان هاجر سنة 2012 والآن مقيم في قايس وله أربعة أطفال.

التربوي تكون باللغة العربية، ما يجعلهم يواجهون صعوبات في الفهم، مثلما أكد لنا المبحوث ف. ه.<sup>27</sup> "لم يدرس أبنائي بدورهم اللغة كما أن توصلنا معهم حتى في المنزل لم يمنحهم زاداً لغويًا مفيداً" كما أضاف المستجوب ر. م.<sup>28</sup> في السياق ذاته، "جميع المواد باللغة العربية و ابنتي لم تستطع فهمها بتاتا. في مادة العربية مستواها ضعيف جداً".

إضافة إلى ذلك يواجه أبناء المهاجرين العائدين، العديد من الصعوبات المتعلقة بالاندماج في المحيط المدرسي الجديد، فكان بعضهم عرضة لمشاكل نفسية بسبب عدم قدرتهم على حسن الاندماج والتكيف، إذ يتعرضون إلى التنمر بسبب اللهجة التي يتحدثون بها، أو طريقة لباسهم، وقد أفادنا المستجوب و. ح.<sup>29</sup>: "واجه أطفالي مشاكل في الاندماج بسبب تعرضهم للتنمر في المدرسة وأثر في سلوكهم فأصبحوا عنيفين واضطرت إلى معالجتهم عند طبيب نفسي". وأكد لنا المستجوب ف. ه.<sup>30</sup>: "لم يكن اندماجهم مع بقية الأطفال سهلاً، فقد تعرضوا إلى التنمر من قبل زملائهم، ابنتي كانت تفضل العزلة والجلوس في الطاولة الأخيرة وتتجنب اللعب معهم لأنها تجد صعوبة كبيرة في التعامل معهم". وأضاف المستجوب ن. ل.<sup>31</sup>: "واجه ابني صعوبات نفسية، لم يقبل التغيير، عند عودته ينفجر كل مرة باكياً لأنه يتعرض إلى التنمر في المدرسة من قبل أصدقائه. حين ينادونه يقولون: "هاو السعودي" لا شك أن مثل هذه النعوت تشكل وصماً قاسياً لهؤلاء الأطفال وتكون عادة مدعاة للإقصاء والازواء.

نلاحظ إذاً، من خلال المقابلات التي أجريناها، أن أبناء المهاجرين العائدين يواجهون صعوبات في التعامل مع أصدقائهم، فيكونون في أغلب الأحيان منعزلين بسبب اختلاف المحيط واختلاف البيئة الذهنية والسلوكية وطريقة التعامل وتعرضهم للتنمر، ما يجعل هؤلاء الأطفال بحاجة إلى رعاية خاصة ومعاملة دقيقة من قبل المربين والإطار التربوي وأصدقائهم حتى يتمكنوا من الاندماج في المحيط الجديد وتقبل التغيير.

<sup>27</sup> ف. ه. ولي عائد من كندا هاجر سنة 2010 والآن مقيم في ولاية أريانة وله ثلاثة أطفال.

<sup>28</sup> ر. م. نفس الولي ذكرناه سابقاً.

<sup>29</sup> و. ح. نفس الولي ذكرناه سابقاً.

<sup>30</sup> ف. ه. نفس الولي ذكرناه سابقاً.

<sup>31</sup> ن. ل. نفس الولي ذكرناه سابقاً.

وللوقوف على صحة المعلومات أكد لنا المبحوثون من الإطار التربوي أنّ هؤلاء الأطفال يواجهون صعوبة في الاندماج بسبب هذا التّغيير الحاد خاصة من ناحية البنية التحتية المختلفة بين المدارس التونسية والمدارس في بلد المهجر، وهذا ما أفادنا به المستجوب أ. خ<sup>32</sup>: "يواجه أبناء المهاجرين العائدين صعوبات في الاندماج في المدرسة التونسية لا شك أن هناك فرقا كبيرا على مستوى البنية التحتية، ففي بلد المهجر يمارس التلاميذ الرياضة في قاعات مخصصة لهذه الأنشطة وعندما يمارسونها عند عودتهم في وسط ساحة المدرسة، يصعب عليهم قبول ذلك، بل يشعرون بصدمة بالفرق الشاسع بين ما كانوا عليه وواقع الحال".

وخلاصة القول إن الأولياء والإطار التربوي والأطفال يواجهون صعوبات قد تختلف أسبابها والتعبيرات الدالة عنها فضلا عن آثارها كما ذكرناها، فالجميع وبدرجة متفاوتة يحتاج إلى مزيد من العناية والإحاطة والمرافقة من أجل ضمان استقرارهم النفسي والاجتماعي كشرط للنجاح المدرسي.

#### IV - وظائف المدرسة التونسية وقدرتها على حسن الإدماج

تعتبر المدرسة إحدى مؤسسات التنشئة الاجتماعية التي لا تقل أهمية عن الأسرة وهي التي تتولى نقل المعارف والمهارات من جيل إلى جيل كما توفر من خلال المربين والفضاءات التي تسخرها إلى جانب المناهج والإمكانيات والظروف المناسبة لنمو الطفل جسديا وعقليًا واجتماعيا، فهي تمرر جملة التوجهات الفكرية والاجتماعية والوجدانية التي يحرص المجتمع على إعادة إنتاجها في هذا الجيل كما يذهب إلى ذلك بيار بورديو من خلال المناهج والبرامج الدراسية التي تبني شخصية الطفل<sup>33</sup>، أما دوركهايم بأنّها إطار يؤدي وظيفة تربوية تتمثل في تلقين المعارف الحديثة والمحافظة على القيم الاجتماعية المعبرة عن التماسك الاجتماعي. فهي إذا عبارة عن مجتمع صغير يعيش فيه التلاميذ،

<sup>32</sup>خ أستاذ مدارس ابتدائية اختصاص تعليم عام يدرس في سببيلة ولاية القصرين

<sup>33</sup>خليفة عبد القادر، فاطمة السالمي، "دور المؤسسة التربوية في إدماج الفرد في المجتمع"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس،

جوان 2014.

ويتدربون فيه على العمل الجماعي وتحمل المسؤولية والمشاركة بينهم. فهل حافظت المدرسة التونسية على هذه الوظائف؟

للإجابة عن هذا السؤال اعتمدنا على رأي المهاجرين العائدين انطلاقاً من تجاربهم وكذلك المربين من خلال ما عاينوه ووقفوا عليه من حالات عديدة ظلوا يستحضرونها باستمرار.

### 1. موقف الأولياء

شهدت المدرسة التونسية خلال السنوات الأخيرة نقائص وإخلالات عديدة هزت تلك "الصورة المشرفة" التي تشكلت لدى فئة واسعة من التونسيين، وقد شملت تلك الإخلالات التقصير في الإحاطة بأبناء المهاجرين العائدين. فقد قصر المسؤولون عن هؤلاء الأطفال في الإحاطة بهم، كما أشرنا إلى ذلك سابقاً. وتفاقت تلك النقائص في ظل غياب المختصين (مختصي علم النفس والوساطة وغيرهم...)، وهو ما أفادنا به المبحوثون من خلال تجاربهم الخاصة. فقد جاء في قول المستجوب أ. ح.<sup>34</sup> "المدرسة لا توفر الإحاطة النفسية ولولا الاجتهاد الخاص من قبل المعلمين وما يبذلونه من جهد استثنائي لكان مصير ابني مظلماً". وذلك ما أكدته تقريبا المستجوب د. ك.<sup>35</sup>: "لا توجد إحاطة للأطفال، هناك غياب تام للأخصائيين النفسيين.. عندما تجد مشكلة للتلميذ يكون الجميع بحاجة إلى مختص وذلك ما تفتقده للأسف المدرسة إنها لا توفر ذلك"، وصرح أيضاً المستجوب ب. ج.<sup>36</sup> بما يلي: "هناك نقص كبير خاصة في الإحاطة النفسية وغياب المختصين للإحاطة بالأطفال غير المندمجين". يتعرض التلميذ، إضافة إلى عدم توفير المختصين في المحيط المدرسي، إلى التنمر، وهذا ما قاله المستجوب م. ر.<sup>37</sup> "في غياب الإحاطة النفسية يتعرض ابني للتنمر من قبل أترابه وينادونه بألفاظ وضيعة للدلالة على تدني مستواه التعليمي حسب اعتقادهم على غراريا بهيم (حمار)".

<sup>34</sup>أ. ح. ولي عائد من جدة ذكرناه سابقاً

<sup>35</sup>د.ك. ولي عائد من إيطاليا هاجر سنة 2004.

<sup>36</sup>ب. ج. ولي عائد من إيطاليا هاجر سنة 2006.

<sup>37</sup>م. ر. ولي عائد من سلطنة عمان هاجر سنة 2014.

إن المدرسة التي ينشدها الأولياء هي مدرسة الإنصاف والمساواة ومراعاة الحالات الخاصة التي تساعد جميع الفئات على الاندماج وتساهم في استقرارهم النفسي وتوفر لهم ظروف النجاح<sup>38</sup>. رغم الصعوبات التي اعترضت البعض في بلد المهجر فانهم يعترفون لتلك البلدان ومدارسها بالقدرة على الإحاطة بهم خصوصا أثناء الصعوبات والأزمات. توفر المدارس الإحاطة الجيدة للتلميذ من طرف مختصين، فضلا عن التواصل المباشر مع الولي. وهي تولي أهمية كبرى للاستقرار النفسي والاجتماعي للطفل، وهذا ما أكدته لنا المستجوب م. ع.<sup>39</sup>: "الإحاطة النفسية والاجتماعية متوفرة في المدرسة في بلد المهجر، يهتمون بذوي الاحتياجات الخاصة ويوفرون لهم إحاطة من قبل أخصائي اجتماعي ونفسي في المدرسة". إضافة إلى التواصل المستمر بشكل يومي بين الولي والإطار التربوي في بلد المهجر، وهذا ما قاله المستجوب س. أ.<sup>40</sup> "هناك تواصل بشكل يومي على وسائل التواصل الاجتماعي، الولي يكون على دراية بكل ما يحدث مع طفله في المدرسة وهذا غير متوفر في المدارس التونسية".

عادة ما ينتبه المهاجرون العائدون إلى أن هناك تقصيرا ما من قبل الإطار التربوي للإحاطة بأبنائهم على المستوى النفسي والاجتماعي، علما وأن المدرسة لا توفر لهم فرصا استثنائية خاصة بالتدارك كما هو الشأن في العديد من التجارب بالدول الأجنبية على غرار كندا، وألمانيا وغيرها من البلدان.

إن ما يبذل من الولي والمربي من جهود هي مبادرات تلقائية وخاصة قد تدفع في حالات عديدة الأولياء العائدين إلى الإقبال على الدروس الخصوصية لتدارك النقص بسبب اختلاف البرامج التعليمية بين المدرسة التونسية والمدرسة في بلد المهجر. فجميع المبحوثين أقرّوا أنّ أبنائهم يتلقون دروسا خصوصية من أجل التدارك لأنهم غير راضين عن الطرق البيداغوجية للتعليم في تونس التي تشكو من نقائص كثيرة مقارنة بالطرق البيداغوجية للتعليم في بلد المهجر.

<sup>38</sup>وزارة التربية، مشروع إصلاح المنظومة التربوية في تونس، الكتاب الأبيض، ماي 2020.

<sup>39</sup>ولي عائد من أبوظبي ذكرناه سابقا.

<sup>40</sup>س. أ. ولي عائد من سلطنة عمان ذكرناه سابقا.

كما لا تزال مناهج التعليم في تونس تقليدية، وتفتقر إلى جلّ الكفايات والتقنيات المستوجبة في هذه الحالات وهذا ما أكده المستجوب م. ر (وهو ولي عائد من عمان): "كثرة المواد والدروس والحفظ دون الفهم المنهج تقليدي والطرق التقليدية والتلميذ لا يستفيد". ورغم التحولات الطارئة على المجتمع وتغير الأجيال، لا تزال المدرسة تقليدية ومحافضة وغير قادرة على التكيف والتجديد. هذا ما جاء على لسان المستجوب ر. ع.<sup>41</sup>: "الطرق قديمة، ليس هناك تغيير في المنهجية، ليس هناك تطوير رغم تغيير الفكر والأجيال"، فطرق التّعليم في تونس، حسب هؤلاء الأولياء، لا زالت تعتمد على تلقين كم هائل من المعلومات عوض الحوار و الفهم و التنشيط ....فقد أكد لنا ذلك المستجوب ب. ج. (وهو ولي عائد من ايطاليا) بقوله: "الصغير يقرى برشا. الكم أكثر من الفهم، نحس الصغار ما عندهم مستوى يقرأ و برشا و المخ فارغ الصغير ما ينجش يكون جملة بالفرنسية". إضافة إلى اعتماد الكتابة أكثر من العمل الشفاهي واعتماد النظري على حساب التجارب والأعمال التطبيقية وذلك راجع إلى نقص الوسائل التّعليمية أو عدم توفرها أصلا لضعف البنية التحتية والتجهيزات التربوية مع غياب وسائل التعليم الضرورية. وهذا ما قاله المستجوب ف. ه (وهو ولي عائد من كندا): "ناقصنا الشفاهي والوسائل غير متوفرة".

نلاحظ إذا من خلال آراء المستجوبين أن طرق التّعليم في تونس تشهد العديد من النقائص وتستوجب تغيير المناهج والطرق التعليمية وتجديدها، فمناهج التعليم في بلد المهجر متطورة كثيرا مقارنة بالمدارس التونسية، فعدد التلاميذ في القسم قليل جدا مقارنة بالأقسام التونسية التي تعرف الاكتظاظ، وهذا ما قاله المستجوب ب. ج.<sup>42</sup>: "في ايطاليا عدد التلاميذ قليل في القسم والمربي يقوم بمجهود لكي يفهم كل التلاميذ، أما في تونس مشكلتنا القسم مكتظ كثيرا".

أما في مدارس بلاد المهجر يكون الاهتمام بالتلميذ الضعيف من خلال تلقيه دروس تدارك في المدرسة للالتحاق بمستوى زملائه وهذا ما جاء على لسان المستجوب

<sup>41</sup> ر.ع. ولي عائد من السعودية ذكرناه سابقا.

<sup>42</sup> ب.ج. ولي عائد من ايطاليا ذكرناه سابقا.

ف. ه. <sup>43</sup>: "المدرسة التونسية تعتمد على الكتب وبرشا معلومات، في كندا القسم يبدأ مقسوم على 3 مجموعات اولى متميزة والثانية متوسطة أما الثالثة فضعيفة وهذه المجموعة الأخيرة يعملولهم دروس تدارك وهو ما عندهم التكوين المني. وهذا معادش موجود في تونس". إضافة إلى اعتماد التجارب في مدارس المهجر لإفهام الدرس لأن الإمكانيات والوسائل متوفرة، وهذا ما قاله المستجوب د.ك. <sup>44</sup> من خلال تجربته: "في بلد المهجر يعتمدون نظام الحصة الواحدة والبنية التحتية في المدرسة جيدة جدا ومتطورة وفي تونس المحتوى جيد ولكن تنقصنا الإمكانيات"، إضافة إلى اعتمادهم نظام الحصة الواحدة، إذ لا يوجد ضغط نفسي على التلميذ ويهتمون بالجانب الترفيهي كما أشرنا سابقا.

وبقطع النظر عن دقة ما يقال والذي قد يصل أحيانا إلى بعض التناقضات في ظل التعميمات وعدم التنسيب فان الأمر يدعو إلى الاهتمام بهذا التقصير بقطع النظر عن حجمه وآثاره وتحديد المسؤوليات فيه. فالمدرسة العمومية مدعوة إلى الانكباب على معالجة هذا التقصير.

تفيد نتائج العمل الميداني أن المستجوبين يحتفظون في تقييمهم للمدرسة التونسية، رغم إقرارهم بالعديد من الإيجابيات، ببعض سلبياتها، على غرار الاكتظاظ وتردي البنية التحتية والنقص الحاد في تكنولوجيات التعلم ووسائل القيام بالتجارب العلمية حيث ظلت طرق التعليم تقليدية تقوم على التلقين والتكرار والكثرة.

ورغم النقائص التي تشهدها المدرسة التونسية ورغم ما جاء على لسان الأولياء من تدمير من الوضعية في المدارس العمومية إلا أن تونس مازالت تزخر بالكفاءات في الإطار التربوي ويحرص الأولياء حرصا شديدا على نجاح أبناءهم. إضافة أن أغلب الدول الأجنبية تستقطب الكفاءات التونسية من أطباء ومهندسين وأساتذة جامعيين وهذا ما يشهد بجودة التعليم في تونس. لكن، كل هذه المشاكل التي تشهدها المدارس تعود إلى غياب خطة لتحسين البنية التحتية للمؤسسات التربوية ولمساعدة هؤلاء التلاميذ على

<sup>43</sup> ف.ه. ولي عائد من كندا ذكرناه سابقا.

<sup>44</sup> د.ك ولي عائد من إيطاليا ذكرناه سابقا.

الاندماج وذلك من خلال توفير المعدات والوسائل والإحاطة. هناك من الأولياء من شهد أن الإطار التربوي التونسي يتميز بالجدية مقارنة ببلد المهجر و"لكن ما ينقصنا في تونس هو الإمكانيات".

## 2. موقف المربين

تعد المدرسة مركز إشعاع تربوي، وتقوم بأدوار تعليمية وتدريبية، فوظيفتها الأساسية إلى جانب إكساب المتعلمين المعرفة والعلوم والمهارات هي مساعدة التلاميذ على مجابهة الحياة الشخصية والاجتماعية. ولكن تشهد المدرسة التونسية تقصيرا في هذا الجانب سواء فيما تعلق بعامة التلاميذ أو تحديدا التلاميذ العائدين من المهجر والملتحقين بها، فقد بينت نتائج العمل الميداني ضعف الإحاطة النفسية للتلاميذ بحكم محدودية عدد الأخصائيين وغياب المتابعة وقد يكون ذلك سببا في تنامي حالات العنف المدرسي والعجز عن كبحه.

كما يؤكد الأولياء أن الأمر يحتاج إلى تشريعات تحدد المسؤوليات وتجعل مهمة الإحاطة واجبا يمكن مراقبته وتقييمه ومحاسبة المخلين به. ففي حالة وجود صعوبات في الاندماج ليس هناك قانون ينظم تدخل المدرسة لتسهيل العملية وكل ما هو متوفر هو مبادرة أخلاقية من المربين القائمين على تدريس هؤلاء الأطفال، هذا الفراغ التشريعي فتح المجال أمام الاجتهادات الشخصية التي، رغم نبيلها، قد لا تخلو من أخطاء، مما قد يؤدي إلى تعقد المسائل وصعوبة العلاج. فهؤلاء المربون يقومون بمجهود خاص واستثنائي للإحاطة بهؤلاء الأطفال دون التأكد من سلامة التمشي ومردوديته التربوية والنفسية. ذلك ما جاء على لسان أحد المستجوبين أ. خ<sup>45</sup>: "المعلم هو من يتحمل المسؤولية، يعمل مختص نفسي واجتماعي وكل شيء. الإدارة لا توفر المرافقة بل يقوم بها المعلم. أبناء المهاجرين العائدين يواجهون صعوبات وعزلة وهم يستحقون الإحاطة والمساعدة للاندماج".

أما في ما يتعلق بالطرق البيداغوجية للتعليم في المدارس التونسية ومقارنتها بمدارس بلد المهجر، فقد أفاد المستجوبون من الإطار التربوي أن الاختلاف يكمن أولا في

<sup>45</sup>أ.خ. أستاذ مدارس ابتدائية ذكرناه سابقا/

الإمكانيات، فهناك فرق في البنية التحتية من جهة التجهيزات والقاعات وتوفير الوسائل اللازمة للعمل، بقطع النظر عن مسألة الكثافة، إذ لا يتجاوز عدد التلاميذ خمسة عشر في الفصل الواحد، بينما تشهد المدارس التونسية اكتظاظا كبيرا في الأقسام. وجاء هذا على لسان المستجوب خ. ص. 46: "أبرز الفوارق بين المدرسة التونسية ومدرسة المهجر تكمن في البنية التحتية... في ظروف العمل في القسم إذ أن جميع التجهيزات متوفرة وليس له محفظة بهذا الوزن المرهق... التلميذ في تونس يستعمل الكثير من الكتب والأدوات علاوة على كثرة المواد وطول البرامج وتكرارها من سنة إلى أخرى لا شك أن هناك ضغط كبير على الجميع".

كما يستحضر الأولياء، في سياق مؤاخذاتهم على المدرسة العمومية، خصوصا الإحاطة بأبنائهم. فجل المدارس تعتمد نظام الحصص الواحدة، مما يجعل من ممارسة الأنشطة الثقافية والترفيهية داخلها أو خارجها أمرا ممكنا، في حين أن ذلك يبقى غير متاح بالمدارس التونسية.

ورغم تباين المواقف أحيانا فان ما يشبه الإجماع سجل لدى جميع من حادثتهم خصوصا في ما يتعلق بضرورة تحسين البنية التحتية في المدارس التونسية وتوفير الوسائل المتطورة للتعلم، بالإضافة إلى إتاحة فرص أكبر للترفيه وممارسة الأنشطة الثقافية. فمن شأن هذه الأنشطة أن تفيد الجميع وتعود بالفائدة على التلاميذ العائدين من المهجر، مما يعزز فرص اندماجهم التربوي.

### خاتمة: من أجل مدرسة دامجية لكل أبنائها

رغم ما حققته المدرسة في تونس من مكاسب مكنت من انتاج نخب علمية وثقافية رائدة شكلت رأسمال بشري مهم، فإنها ظلت تعاني من عدة نقائص في مجال إدماج أبناء المهاجرين العائدين إلى أرض الوطن. يتجلى ذلك في عدة مظاهر تتسم، إجمالاً، إما بتجاهل المشاكل المطروحة أو بعدم التفطن إلى خطورتها أو بالعجز البنيوي

<sup>46</sup> خ.ص. أستاذ مميّز فوق الرتبة تعليم ابتدائي اختصاص تعليم عام ويدرس في ولاية تونس.

عن تلافي تلك النقيصة وذلك لعدم توفر الموارد البشرية الكافية أو افتقاد الموارد. وفي كل تلك الحالات فان التكلفة التي يدفعها الولي أو التلميذ تكون باهظة.

هذا التقصير من قبل المدرسة التونسية في الإحاطة بأبناء المهاجرين العائدين ينعكس سلبا على قدرة هؤلاء التلاميذ على التحصيل وكسب المعارف والمهارات. كما ينجر عنه صعوبة في التكيف النفسي والاجتماعي مع المدرسة والمحيط الاجتماعي عموما. وذلك ما يدفع هؤلاء إلى البحث عن تدخل مصالح الوزارة المختلفة، غير أن هذه الأخيرة لا تستجيب للدعوات ففاقد الشيء لا يعطيه.

يشكل الإصلاح التربوي المرتقب فرصة ثمينة لتلافي هذه النقائص في سياق إصلاح تربوي أشمل، خصوصا وأن الهجرة غدت معطى ثابتا وحجم الظاهرة صار في ازدياد لافت. المدرسة التونسية مدعوة إذا، إلى إيلاء هذه الفئة من التلاميذ العناية المطلوبة حتى تساعد على الاندماج.

## الملاحق

### جدول عدد 1: أهم المعطيات حول العينة الأولى

معرفة المبحوث	عدد الأبناء	بلد الهجرة	سنة الهجرة	مهنة الزوج	مهنة الزوجة	منطقة السكن	نوع المسكن
م . ع	3	أبو ظبي	2007	مهندس	أستاذة	سيدي بوزيد	كراء/فيلا
ب . ج	2	إيطاليا	2006	عامل	ربة بيت	الزهروني تونس	كراء/شقة
د . ك	2	إيطاليا	2004	موظف	معلمة	سيدي بوعلي المهديّة	ملكية خاصة /فيلا
ل . س	3	سلطنة عمان	2005	أستاذ أنقليزية	تقي سامي في الاعلامية	قسور الساف المهديّة	ملكية خاصة /فيلا
و . ح	4	ليبيا	2005	مهندس فلاحي	باحثة عن عمل	الكرم تونس	ملكية خاصة /شقة
س . ر	3	السعودية	1989	ممرض	ربة بيت	قفصة الجنوبية	فيلا /ملكية خاصة
أ . ح	2	جدة السعودية	2010	صاحب وكالة صيانة سيارات	أستاذة اقتصاد	قليبية نابل	فيلا/ملكية خاصة
ر . م	3	فرنسا	2005	تاجر	ربة بيت	سيدي ثابت أريانة	فيلا /ملكية خاصة
ن . ل	3	السعودية	2008	محاسب	ربة بيت	حي الزهور تونس	شقة / ملكية خاصة
ر . ع	2	السعودية	2001	موظف	ربة بيت	حي الزهور تونس	كراء/شقة
ف . هـ	3	كندا	2010	صاحب شركة	معلمة	المنهله أريانة	شقة / ملكية خاصة
م . ر	2	سلطنة عمان	2014	أستاذ	أستاذة	برقو سليمان	فيلا /ملكية خاصة
س . أ	4	سلطنة عمان	2012	أستاذ	أستاذة	الحامة قابس	شقة / ملكية خاصة

المصدر: نتائج العمل الميداني

جدول عدد 2: أهم المعطيات حول العينة الثانية

معرفة المبحوث	الرتبة	الاختصاص	الأقدمية	مكان العمل
أ. خ	أستاذ مدارس ابتدائية فوق الرتبة مميز	تعليم عام	26 سنة	سببيلة، القصرين
ب. م.	أستاذ أول مميز	تربية مدنية	26 سنة	قفصة
ت. ف.	أستاذ أول فوق الرتبة مميز	عربية	31 سنة	جرجيس مدينين
ث. د.	أستاذ فوق الرتبة مميز	تعليم عام	31 سنة	نابل
ح. ع.	أستاذ فوق الرتبة مميز	عربية	35 سنة	تونس
ج. أ.	أستاذ أول فوق الرتبة	فرنسية	7 سنوات	تونس
خ. ص.	أستاذ مميز وفق الرتبة تعليم ابتدائي	تعليم عام	29 سنة	تونس
د. س.	أستاذ أول فوق الرتبة	عربية	1 2 سنة	تونس
ذ. ر.	أستاذ أول فوق الرتبة	أنجليزية	14 سنة	تونس
ه. د.	أستاذ أول فوق الرتبة	فرنسية	14 سنة	تونس
ك. ز.	أستاذ فوق الرتبة مميز	تعليم عام	36 سنة	تونس

المصدر: نتائج العمل الميداني

جدول عدد 3: التلاميذ الأجانب و أبناء التونسيين بالخارج حسب الولاية في المرحلة الابتدائية

الولاية	التلاميذ الأجانب	أبناء التونسيين بالخارج
تونس	307	480
أريانة	151	160
منوبة	27	94
بن عروس	46	141
زغوان	18	15
بنزرت	34	411
باجة	26	84
جندوبة	9	404
سليانة	19	112
الكاف	34	64
القصرين	8	131
سيدي بوزيد	11	126
قفصة	16	204
توزر	10	14
قبلي	21	123
تطاوين	20	817
مدنين	68	1667
قابس	17	388
صفاقس	74	744
المهدية	15	3863
القيروان	1	350
المنستير	23	1029
سوسة	68	953
نابل	73	525
المجموع	1096	12899

المصدر: وزارة التربية

## دليل المقابلة الموجهة حول موضوع المدرسة العمومية وإدماج أبناء المهاجرين العائدين

### • الجزء الأول: معلومات حول العائلة

عدد الأبناء:

تاريخ ولادة الابن الأول ومكانها:

تاريخ ولادة الابن الثاني ومكانها:

تاريخ ولادة الابن الثالث ومكانها:

المستوى التعليمي للزوج:

المستوى التعليمي للزوجة:

- مهنة الزوج:

- مهنة الزوجة:

- الدخل العائلي:

- نوع المسكن:

فيلا  شقة  منزل عربي  ملكية خاصة  كراء

- منطقة السكن: العمادة / المعتمدية الولاية

### • الجزء الثاني: مسار الهجرة

- ماهي سنة الهجرة؟

- ماهو بلد الهجرة ولماذا اخترته؟

- ماهي الأسباب التي دفعت بك للتفكير في الهجرة؟
- ماهي الصعوبات التي واجهتها في بلد الهجرة؟
- ماهي الأسباب التي دفعت بك للعودة إلى تونس؟ هل كان لدراسة أطفالك دخل في العودة إلى تونس؟ و. ماهي الصعوبات التي واجهتها عند العودة في هذه المسألة تحديدا؟
- في بلد الهجرة هل كان أبنائك يدرسون في مدرسة عمومية أو مدرسة خاصة وماهي درجة الرضا المتعلقة بجودة التعليم؟
- كيف كان تحصيلهم الدراسي هناك؟
- هل يعود قرار العودة للزوج أو للزوجة أو معا؟
- هل استشرت الشريك في برنامج العودة؟ وما موقفه؟
- هل توفر المدرسة أنشطة ثقافية وترفيهية؟ ماهي؟

● الجزء الثالث: التعليم في تونس

- لماذا اخترت بعد عودتك تسجيل ابنك في مدرسة عمومية؟
- كم تقدر المصاريف الخاصة بدراسة الأبناء؟
- هل واجه طفلك صعوبات في التعليم أو في الاندماج في المؤسسة التعليمية؟ أذكرها في ثلاث صعوبات كبرى؟
- حسب رأيك هل توفر المدرسة الحالية التي يزاول بها ابنك تعليمه التكوين المعرفي الجيد والإحاطة التربوية والنفسية للأبناء؟
- هل أنت راض عن الطرق البيداغوجية للتعليم في تونس؟ لماذا؟
- هل يتابع أو يتلقى ابنك دروسا خصوصية؟ لماذا؟
- هل أنت راض على مستوى تعليم ابنك وما هو تقييمك له لأداء المدرسين؟
- هل يمارس ابنك أنشطة ثقافية وترفيهية في المدرسة؟ ماهي؟
- ماهي أوجه الاختلاف في طرق التعليم بين المدرسة التونسية مدرسة بلد الهجرة؟
- هل أنت راضي على القرار الذي اتخذته في العودة إلى تونس؟ لماذا؟

- هل تفكر في الهجرة مرة أخرى؟
- هل ستصحب أبنائك مرة ثانية لو قدر لك الهجرة مجدداً؟ لماذا؟
- الجزء الرابع: المدرسة والإدماج والكوفيد
  - هل تم إجراء اختباراً للإدماج ابنك في المستوى التعليمي؟
  - هل تعتبر أن هذا الاختبار كان منصفاً له من حيث تقييم معارفه وخصاله وكفياته؟
  - هل تابع ابنك تعلمات وكفايات خاصة للتدرك والإدماج؟
  - هل اعترضت ابنك صعوبات في الإدماج: وما هي: لغوية؟ في الرياضيات، في المناخ النفسي مع المدرسة؟ علاقات مع الأصدقاء، مع المدرسين؟
  - كيف تقييم تحصيل ابنك المدرسي مع تنالي السنة الثانية للكوفيد.

## دليل المقابلة الموجهة للإطار التربوي حول موضوع المدرسة العمومية وإدماج أبناء المهاجرين العائدين

### • الجزء الأول: معلومات عامة

- رتبة المدرس
- الاختصاص
- الأقدمية
- مكان العمل

### • الجزء الثاني: التعليم في تونس والصعوبات

- هل يجري أبناء المهاجرين العائدين اختبارا للإدماج؟ وهل يعتبر هذا الاختبار دقيقا وصائباً؟
- ماهي الصعوبات التي يواجهها أبناء المهاجرين العائدين الى المدرسة التونسية؟ هل هي مشاكل تعليمية أو بيداغوجية أو في المناخ المدرسي في المدرسة؟
- في حالة مواجهة التلميذ إلى صعوبات في التعليم أو في الاندماج هل توفر المدرسة رسمياً مرافقة خاصة لهؤلاء التلاميذ؟
- هل يبدي المربون مجهوداً ذاتياً من أجل إدماج هؤلاء وتحفيزهم على تجاوز العراقيل؟
- هل يتم التواصل والتنسيق بين المربين والعائلة؟
- هل هناك اختلاف بين المدارس الأجنبية والمدارس التونسية؟ وفيما يكمن هذا الاختلاف في طرق التدريس والبيداغوجيا في التواصل، في السلوك؟

### • الجزء الثالث: العلاقة بين الولي والإطار التربوي

- هل هناك تواصل مستمر بين الولي والإطار التربوي؟
- في حالة عدم اندماج التلميذ وتعرضه لصعوبات تعليمية كيف يساهم الولي في تداركها؟

- هل تعتقد أن لجوء العائلة الى الدروس الخصوصية من أجل تدارك أبنائهم وإدماجهم حلاً ناجحاً؟ ما موقفك من ذلك؟